

بين الواقع والخيال في الأعراف

خائض بين عالمين

تأليف

منى قيسى دحيل

"إهداء"

أهدي هذا العمل المنسوج بقلبي إلى :

"أمي الغالية"

"وأختي الحبيبتان"

وصديقتي الصدوقة التي رافقتني في حلو أيامي
ومرّها، الرّسامة والمُصمّمة المُبدعة.

" نور الهدى زلق "

كانت مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ مُتَصَاعِدَةٍ مِنْ لَهَيْبِ أَفْكَارِي، زَوَّجْتُهَا
وَعَقَدْتُ قِرَانَهَا بِخَطِّ الْقَلَمِ، وَاسْكَنْتُهَا تَحْتَ سَقْفِ كِتَابِي.
كَانَتْ يَتِيمَةً الْمَعْنَى وَقَلِيلَةَ الْحِيلَةِ، بِلا مَأْوَى .

افْتَرَشْتُ السُّطُورَ وَتَوَسَّدْتُ الْفَوَاصِلَ وَالنِّقَاطَ وَاعْتَنَقْتُ
الْإِيْمَانَ بِيَدِي .

هَاهِي تَنْجِبُ وَتَكُونُ عَائِلَةً فَرِيدَةً الْجُذُورِ .
"خِيَالٌ" الْابْنَةُ الْمُدَلَّلَةُ، حَازَتْ عَلَى وَسَامِ حُرِّيَةِ التَّعْبِيرِ
وَانْفِتَاحِ التَّفْكِيرِ، تَطِيرُ بِأَجْنَحَةِ الْحُبِّ وَتُدْفِنُ بِنَهَايَاتِ
الْفُرَاقِ .

"وَأَقَعَ" الْابْنُ الْكَبِيرُ، صَاحِبُ الْعَقْلِ الرَّزِينِ وَالْقَلْبِ
الرَّؤُومِ، مَرَاةَ الْمُجْتَمَعِ الْمَكْسُورَةِ، مُحَاضِرٌ بَارِعٌ، يَقْدَمُ
النُّصَحَ وَالْعِبْرَةَ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ .
لَقَدْ قَدِمْتُ لَكُمْ مَجْمُوعَةً مِنْ تَجَارِبٍ وَرُؤْيٍ لِبَسْتِ رَدَاءِ
الْحِكَايَةِ لِثَرِيكُمْ نَوْمُكُمْ وَصَحُوثُكُمْ مِنْ نَافَذَتِي وَتَكْشِفُ
لَكُمْ الْوَجْهَ الْآخَرَ وَصَدَى الصَّوْتِ الثَّانِي .
فَأَهْلًا بِكُمْ فِي عَالَمِي الْفَرِيدِ .

في مملكةٍ مُعلّقةٍ بين الغيوم تُدعى "ازالدريا"، وُلدت
الأميرة "ليرا"، وفي عينيها نورٌ لا يرى إلا للقلب النقي
وهج القمر الأزرق.

ظهر فارسٌ غريبٌ يُدعى "سيلان"، يحملُ موسيقاه
ونظراته العميقة، و عندما عزفَ أوّلَ لحنٍ لها، تفتّحت
أزهارُ القصرِ في غيرِ أوانِها، وتزلزلَ قلبُ ليра بأوّلِ رعدةٍ
حبّ.

لكن وراءَ جماله لعنةٌ قديمة، تهدّد بخفوتٍ وهجٍ عينيها
لجأت إلى حكيمةِ الجبال، فقالت:

الحُبّ لا يقاسُ بما يُرى، بل بما يحسّ.

وعندما اختارت ليرا الحبّ الصادق انفجرتِ السماءُ
بوهجٍ ذهبيّ، مُعلنةً أنّ الحبّ حين يصير نقيّاً؛ يولد
معجزة.

وفي عمق الغابة المحرّمة، تستيقظ "ماريورا" الساحرة
التي أرادت أن تختبر قوّة الحبّ المُكتمل.

أرسلت إليهما تحدياً (البحث عن زهرة الندى الأبدية
في قلب الصحراء الحمراء) حيث لا يُسمع صوت ولا
يُبصر نور.

سارا الحبيبان يداً بيد يتجاوزان الأشواك والسراب
والنار، تذكرًا كلمات الحكمة:

الحُب لا يُختبر بالراحة، بل بالمجاهدة.

حين وجدا الزهرة ذابلة عزف سيلان لحناً من روحه،
فارتوت الزهرة بنغمة الحبّ، ووُلدت من جديد.
ومنها انفجرت السماء بألوان تشبه القصائد، معلنةً
انتصار العاطفة على اللّعة.

عاد العاشقان إلى أزالدريا" والنور الخالد يملأ أرواحهم.
وسيلان يعزف من عوالم أخرى.

ألفيا حارس الوشاح، الذي همس إليهما:

"ظهرت مجرّة سماويّة تدعى الوشاح السّماوي، ترسلُ
رؤى لمن لمسَ جوهر الحُبّ".

رأت ليرا طفلةً تضحكُ وسط بحرٍ من الضّوء.
النّور لا يكتمل إلا إذا وهبَ لقلوب لم تعرف الحب من
قبل.

وهبت ليرا جزءاً من وهجها لطفلةٍ يتيمة، فصارَ قلبها
زهرةً تنبضُ بالحياة.

ومنذ تلك اللّحظة، صار وهجهما نوراً خالداً، يعيشُ في
كلِّ قلبٍ عرفَ الحبّ .

"قصة حبّ الماء والنّار"

في جُناحِ الغروب على تخوم مملكة العناصر، نظرتِ النّار من الأعلى إلى جدولٍ من الماء ينسابُ مثل لحن قديم، وقالت:

يا من تغسلُ الأرض بالحياة كيف استطاع هدوءك أن يقلقَ اضطرابي؟

كان الماء يسمعُ الصّوت دون أن يرى المصدر، فأجاب:
ويا من تظنّين الليل اشتعالاً كيف تمكّن الضّوء من غزو ظلمتي؟

لم يكن اللقاء سوى شرارةً بين روحين تتعطشان للحب رغم الاختلاف ، لكنّ الخوف كان عميقاً؛ فالاقترابُ يعني الفناء.

وفي ليلةٍ تباركت فيها الغيوم، التقتِ النّار والماء تحت برقٍ خاطفٍ و تشكل البرق من حينهما، من رغبة لا تفصحُ عنها الكلمات.

قالتِ النَّارُ: علّمتني كيف تهدأ حين تفيض، فإن سكنت
يجعلني أحلم .

قالَ الماءُ: وأنتَ، علّمتني أن الحياة لا تُقاسُ ببرودها، بل
باشتعالها .

وهناك، عند حافة السّماء، رسمت قطراتُ المطر رقصةً
تجمعهما.

لم يكن الرّقص إلا إعلاناً عن عهدٍ جديدٍ ، عهد حبٍّ لا
يُروى إلا تحت العاصفة.

ومن الاتحادِ الهاربِ بين النار والماء، ولد الضوء، لم يكن
ناراً تحرق، ولا ماءً يغرق، بل وميض يشبه الحلم.

قيل أنّ هذا الضّوء يُشرق في قلب كلّ من أحبّ بصمت،
في كلّ من اختار التّضحية بدلاً من الانطفاء، في كلّ من
رقص على حافة المستحيل.

وهنا ، لم تنتهِ القصة بفراق، بل بدأت أسطورة تروى عبر
الزمن، بأنّ الحبّ لا يعرف عناصر، ولا قوانين.

فقط يحتاجُ إلى قلبين صدقا اللقاء واتّحدا حتّى
يُشكّلان نوراً دائماً .

"حُبُّ يَخْتَرِقُ الْوُجُوهَ"

فِي حَيِّ مَنَسِيٍّ عَلَى أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ، وُلِدَ "آدَمُ"
طِفْلاً مَتَوَحِّدٌ يَعِيشُ فِي عَالَمِهِ الدَّاخِلِيِّ الْمَلِيءِ بِالْأَلْوَانِ
الصَّامِتَةِ، بَيْنَمَا يُوَاجَهُ فِي الْوَاقِعِ خَارِجُهُ صِرَاعاً وَغُنْفاً
مِنَ الْوَالِدِيهِ اللَّذِينَ لَمْ يَفْهَمَا اخْتِلَافَهُ .

كَانَتْ أَلْعَابُهُ كَسُوراً مِنَ الْهُدُوءِ، وَمَحَادِثَاتِهِ هَمْسَاتٌ فِي
الْخِيَالِ، وَكُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ كَأَن يَزْرَعُ فِيهِ نَبْتَةً خَوْفٍ جَدِيدَةٍ .

فِي عُمُرِ الثَّاسِعَةِ، جَلَسَ آدَمُ تَحْتَ شَجَرَةٍ مَهْجُورَةٍ خَلْفَ
الْمَدْرَسَةِ يَرَسُمُ بِتُرَابِ الْأَرْضِ دَائِرَةً حَوْلَهُ ، وَكَأَنَّهَا حُصْنُهُ
ضِدَّ الْعَالَمِ ، هُنَاكَ قَابِلٌ "لَيْلَى" ، زَمِيلَتُهُ الَّتِي لَاحَظَتْ
وِحْدَتَهُ وَتَجَاهَلَ الْجَمِيعَ لَهُ، اقْتَرَبَتْ مِنْهُ بَرَقَّةً، مَدَّتْ إِلَيْهِ
دَفْتِراً رَسَمَتْ فِيهِ زَهْرَةً بِاسْمَةٍ وَقَالَتْ: إِنْ كُنْتَ لَا تَتَكَلَّمُ،
فَلنرسم معاً .

وَمِنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، تَحَوَّلَتْ دِفَاتِرُ الرَّسْمِ إِلَى وَسِيلَةٍ
تَوَاصَلَ، وَجَدَتْ لَيْلَى فِيهَا طَرِيقَةً لاحتضانِ عَالَمِهِ بَدَلاً
مِنَ تَغْيِيرِهِ .

مرّت السّنوات،

وبفضلِ دعمِ ليلي و معها معلّمة خاصّة آمنت بموهبته،
بدأ آدم يتطوّر ، لم يعد يختبئ من أعين النّاس، بل بدأ
بأبهارهم بأفكارٍ يُمكنُ تطويرها.

تخصّص في تكنولوجيا التّصميم، وأسّس في سنّ
العشرين شركةً ناشئةً لبرمجيّات تساعدُ الأطفال على
التّعبيرِ بالرّسم، تماماً كما ساعدته ليلي.

نجحت شركته نجاحاً ساحقاً، وذاع صيته كواحدٍ من
أنجح روّاد الأعمال في البلاد، حتّى أصبح نموذجاً
يحتذى به في المؤتمرات العالمية.

وفي إحدى محطّات حياته، تلقّى رسالةً من والده،
يطلبُ اللقاء .

التقى بهم، ولم يكن في قلبه غضب، بل بهدوءٍ قال:
سامحُكم منذُ أن قرّرت أن لا أكون مثلكم.

بعد ذلك، عرض على ليلي أن ترافقه إلى جزيرة صغيرة
اشتراها كمكانٍ للسلام والإبداع .

هناك تحت ظلال أشجار الجاكار تقدّم إليها بخاتم
خطبة بنفسه، وقال: أنت التي فتحت لي الأبواب عندما
كنت لا أملك مفاتيح نفسي.

تزوجا في جزيرتهم، حيث بنيا بيتاً زجاجياً يُطلّ على
البحر، وأسّسا مركزاً للأطفال المتوحّدين، يحمل اسم
"نقطة البداية".

يروى قصّتهما دون كلمات، بل بلوحاتٍ معلقة،
ورسوماتٍ صامتة تعبّر عن الحبّ والشفاء والانتصار.

في أحد أزقة حيّ "الكرامة" الشعبيّ، عاش ياسر البالغ من العمر عشرة أعوام مع والدته "أمينة" في غرفة ضيافة داخل منزلٍ قديمٍ مُتهالكٍ.

كانت والدته تعملُ في تنظيف البيوت، ولكن المرض أنهك جسدها، وأصبح ياسر هو من يبحث يومياً في الشوارع عن الخردة ليساهم في شراء الطعام والدواء.

في صباحٍ شتويٍّ غائمٍ، وبينما كان ياسر يتجول قرب مكبٍ صغيرٍ خلف السوق، لمح شيئاً يلمع وسط الركام.

اقترب بحذر فوجد وعاء فخار كبير، مغطى بطبقة من الغبار والأوساخ، لكنّه مزخرف برسومٍ مذهلة ونقوشٍ غريبة.

حملةً بصعوبةٍ وعادَ إلى المنزل، وعيناهُ تتأملان تفاصيله بدهشة.

حين حاول تنظيفه، سقطت منه قطعة معدنية غريبة تشبه ختماً ملكياً ، دفعه فضوله إلى الذهاب إلى مكتبة الحي حيث تعرّف على الأستاذ سامر"، الذي كان باحثاً متقاعدًا وما إن رأى الأستاذ الوعاء حتى تجمّد في مكانه وقال: يا بني، هذا ليس مجرد فخّار؛ إنه جزء من كنز أثري يعود لمملكة "الرّوم القديمة".

قام الأستاذ سامر بتبليغ هيئة التراث الثقافي ، وبعد أيام، زار فريق من المختصين منزل ياسر وفحصوا الوعاء، وأكّدوا أنّه قطعة أثرية نادرة تُساوي ثروة ضخمة ، عرضوا على ياسر مكافأة مالية كبيرة، لكنّه اشترط شرطاً غريباً .

أريدُ جزءاً منها يُخصّص لمكتبة الحي، ودواء لوالدي، والباقي لدراستي .

تحققت شروطه، وانتشرت قصته في الإعلام، وصار
رمزاً للأمل والعزيمة.

تابع دراسته في الجامعة بتفوق، وسافر لاحقاً إلى دول
عديدة ليشارك في اكتشاف آثار مدفونة.

لكن كلما حفر في الأرض، كان يحمل في قلبه ذكرى تلك
اللحظة الأولى التي انتقل فيها وعاء الأحلام من قلب
النسيان .

" ظلُّ قلبك "

في حيِّ فقيرٍ منَ المدينة، عاشت ليلي، فتاةً بسيطة
تسكنُ مع والدتها المريضة في غرفةٍ صغيرةٍ لا يدخلها
سوى نورِ الأمل.

كانت تعملُ في مقهى شعبيٍّ لتعين نفسها، ولكن قلبها
كانَ يحلمُ بأكثرٍ من مجردِ لقمةٍ عيش، كان يحلمُ بالحبِّ.

وفي أحدِ الأيام، دخلَ المقهى شابٌّ وسيمٌ بثيابٍ فاخرةٍ
ونظرةٍ متمردةٍ، ياسر لم يكن يشبهُ الزبائن المعتادين
جلسَ على الطاولة المقابلة، وألقى نظرةً خاطفةً نحوَ
ليلى وكأن الزمن توقف تبادلا النظرات، وتكلم القلبُ
بلغةٍ لا يسمَعُها سوى العاشقين.

رغمَ فارقِ الطبقة الاجتماعية، تقاربيا.

ياسر شعرَ أنّ ليلَى تعيشُ الحياةَ بشكلٍ حقيقيٍّ، بعيداً
عن الزّيف الذي عرفه في قصورِ أهله.

تحدّى الجميع.

أسرته وأصدقاءه وحتى نفسه و اختارَ أن يعيشَ
ببساطةٍ مع ليلَى.

تركَا خلفهما المالَ والمظاهر، وبدءا حياةً من الحبِّ
الحقيقيّ استأجر غرفةً صغيرة، وعاشا بين الضّحكِ
والبساطة كان ياسرُ يعملُ كعامل بناء، ويدّخر ليشتري
وردةً لليلَى كلّ مساءً.

لكن، في لحظةٍ قاتلة، انقلبَ كلّ شيء.

حدثُ سيرٍ عنيفٍ أدّى إلى إصابةٍ ليلَى إصابةً بالغة،

أقعدتها تماماً عن الحركة كانت ابتسامتها لا تزال
حاضرة، لكن جسدها خائها .

ياسر حاول أن يبقى أن يكون سنداً، لكن روحه بدأت
تنكسر تدريجياً.

لم يكن يعرف كيف يعتني بها، فشعر بالعجز، ثم بدأ
بالابتعاد شيئاً فشيئاً، إلى أن اختفى تماماً.

ليلي، بعد كل هذا الحب، تركت وحيدة، وأخذها الحزن
كما يأخذ المرض جسداً منهكاً كتبت له رسالة أخيرة،
مليئة بالحب والندم والألم ووضعتها تحت الوسادة.

وفي إحدى ليالي الشتاء الباردة ، رحلت بهدوء، قلبها
توقف، لكن حبها بقي حياً بين السطور.

عندما تلقى ياسرُ الرّسالة، قرأها وهو على الرّصيف أمام
المقهى الذي جمعهما لحظتهما.

تهاوى عقله ترك كل شيء، وتحول إلى متسوّل في
الظلال، يتجوّل في الشوارع وهو يحمل صورة ليلى
يسرد قصّته لمن يريد أن يسمع .

يقول:

أحببتها فقيرةً، فصارت غنيّة في قلبي، اخذتها ضعيفاً،
فصرت أفقر الرجال.

وفي أحد الأيام،

شوهّد ياسر جالساً أمام باب ذلك المقهى القديم، يبتسم
للهواء وكأنّ ليلى بجانبه ثم أغلق عينيه، ولم يفتحها
مجدداً.

"يرسلُ له نور ، حين تنبُثُ الأجنحةُ من الألم"

كانت "نور" مختلفة منذ ولادتها رجلٌ واحدة ويدٌ واحدة جسدها جعل الناس يتهامسون، لكن لم يعرف أحد أن داخله يسكن نور أقوى من أعاصيرهم الهائجة .

عاشت في قصرٍ والدها الثري، تسبحُ في النعيم المادي، لكن ما كانت تملكهُ لم يكن كافياً ليملاً فراغ قلبها.

في الخامسة والعشرين، تعرّفت على "سليم"، شابٍ وسيم وكلامه ينزل كالسكر عليها .

ادّعى أنّه يحبها لأنها قويّة، لأنها أجملُ من كلّ النساء. صدّفته، فكانت أوّل مرّة تشعرُ أنّها إنسانة لا معاقة.

تزوّجته وسط احتفالٍ فخم بدا كفارسٍ أحلام، وانتهى بكابوسٍ يقظتها.

تسلل إلى أموالها باسم "مشاريع مشتركة"، وامتلات أيامها بنوبات غضب وإهانات تخفيها عن الخدم والأقارب.

وحين حملت بطفلها، بدأت تتأمل بأن الأمومة ستغير كل شيء لكنّها كانت تحلم وحدها.

بعد ولادة "مالك"، تركها سليم برسالة باردة كل شيء انتهى اعطني بنفسك وبابنك . هرب من المسؤولية، ليتركها تواجه الأمومة والصدمات وحيدة.

بدأت نور حريها و تعلّمت كيف تدير الشركات بنفسها، خاضت دورات إدارية من المنزل، وكلّ ليلة تهدّد لطفلها بكلمات الأمل. جسدها تحدّى قدرته، لكنّها كانت تقف شامخة، تمدّ روحها من قوّة لا يراها أحد.

خلال خمس سنوات،

أصبحت نور من ألمع سيدات الأعمال في الشرق الأوسط و أسست مركزًا لدعم ذوي الإعاقة، وظهرت في برامج تلفزيونية وهي تقول: العيب ليس في الجسد بل في من لا يرى الجمال خلفه .

مالك كبر وسط الحب يعرف أن أمه لا تشبه النساء في جسدها لكنّها تفوقهنّ في القلب.

وفي يوم من الأيام تلقت رسالة من سليم يطلب العودة.

ابتسمت مزّقت الرسالة، ثم كتبت له: شكرًا لأنك رحلت؛ لأنني حينها بدأت أعيش .

"الرحلة القصيرة"

في حيٍّ قديمٍ مُطلٍّ على نهرٍ هادئٍ، كان يعيشُ نعيم.
رجلٌ خمسيني، خطَّاطٌ مشهور، يسكنُ بيتًا صغيرًا تملؤه
رائحةُ الخير والذكريات.

أحبَّ ليلي، امرأةً من عائلةٍ بسيطة، كانت تزورُ محلهُ
يوميًا لتتعلَّم الخطَّ العربي.

شيئًا فشيئًا، تحوَّل الحبرُ بين أصابعه إلى حبرٍ في قلبه،
واستقرَّ حبُّها فيه كما تستقرُّ النقطة على آخر السطر.

كان لقاؤهما الأول مليئًا بالخجلِ والدهشة، وما لبث أن
تحوَّل إلى صداقةٍ ثمَّ حبٍّ صادق.

لكنَّ الحياة لا تكتبُ دائمًا كما نريد .

ولا تجري الرياح كما تشتهي السفن .

المرضُ المفاجئ جعل ليلي طريحة الفراش؛ وقف نعيم
إلى جانبها حتَّى اللحظة الأخيرة، مُمسكًا بيدها،

يقرأ لها من دفترٍ صغير كتب فيه سَأبقى أَحَبَّك؛ حتَّى
لو نسيّتني الحياة.

بعد وفاتها، أغلق باب قلبه و رفض الزّواج، وابتعد عن
النّاس، وظلّ يعمل في محله وحيداً، يسهر الليالي يرسم
اسمها بخطّ النّسخ مرّة، وبخطّ الثّلاث مرّة أخرى، كأنّه
يحاول إبقاءها .

في ليلة مطيرة، بينما كان عائداً من المسجد، سمع بكاء
خافتاً بجانب حاوية خشبية .

طفل لا يتجاوز السنتين، متّسخ مرعوب، حمله دون
سؤال، نظّفه وأطعمه، لفّه بعباءة ليلي التي لم يسمح
لأحد بلمسها من قبل.

سمّاه "سليم"، وقرر أن يمنحه كلّ الحبّ الذي كان لليلي،
وكان هذا الطفل جاء ليعيد لنعيم صلته بالحياة.

ربّاه كأب حقيقي علّمه الخطّ العربي، والأدب، والصّلاة،
وكان يصطحبه معه لكلّ مكان.

لم يشعر سليم يومًا أنّه ليس ابن نعيم، وكان يفتخر به أمام أصدقائه، يقول: هذا أبي الذي افتخر به.

حين كبر سليم، أحبّ فتاة طيّبة وتزوجها و في ليلة زفافه، جلس نعيم في الصفّ الأول عيونهُ تدمع فرحاً يضحك بصوت عميق كأنّه يحتفل بزفاف قلبه أيضاً بعد انتهاء الحفل، عاد إلى منزله دخل غرفته، قبل صورة ليلي و ابتسم، وقال بهمس: اتممت رسالتي يا ليلي، ثمّ نام ولم يستيقظ.

في اليوم التالي،

دُفن بجوار ليلي، وفي قلب سليم، حكمةٌ واحدة لا تُنسى ...

"الدم ليس ما يصنع الأب، الحبُّ هو كلُّ شيء."

في مدينة جامدة لا تعترف بالمشاعر عاشت ليلي، فتاة
في مطلع العشرينات ذات قلب رقيق وعينين تبحثان
عن ملاذ في عالم قاس.

كانت ترتاد الجامعة كل يوم، حاملة كتبها وأحلامها،
لكن ما كانت تحمله في قلبها أثقل من كل الكتب التي
قرأتها.

هناك، في قاعة المحاضرات، تعرّفت على يوسف، أستاذ
في الخامسة والخمسين من عمره، رجل يكسوه الوقار،
وصوته يحمل حنانًا نادرًا ما وجدته في وجوه أهلها.

لم تكن تنظر إليه كما ينظر الآخرون، بل رأت فيه شيئًا
عميقًا، رجلًا يبعث في نفسها إحساسًا بالأمان، يشبه
الأمان الذي تمتته من والد غائب في حياتها.

ومع الأيام، تحوّل الإعجاب إلى حبّ متأجج.

حاولت كبتهُ، تجاهلُهُ، إنكاره لكنّ مشاعرها كانت كالنّهر،
تجرفها بعيدًا عن المنطق؛ صار يوسف كلّ عالمها، حلمها،
أمنيّتها.

أمّا هو، فشعر بذلك، ورغم كلّ مشاعره التي لم يبُح بها،
قرّر الابتعاد و قال لها بهدوء: أنت لا تحتاجين رجلاً في
عُمري، بل شابّاً يبني معك الحياة، لا ينقلها بذكرياته .
كلماته كانت سكيّناً مُغلّفاً بالحنان، رحلَ عنها وهو يظنّ
أنّه ينقذها، لكنّها غرقت أكثر في عالم الوحدة.

لم يفهم أحدُ ألمها، ولم يحتويها أحد حتّى صديقاتها
ظننّ أنها تُبالغ .

وفي ليلة هادئة، كتبت رسالة قصيرة.

"أحببته بصدق، لكنّ العالم لم يفهمني، لا أريد أن أعيش
بين من لا يسمع صوتي" .

وفي صباح اليوم التّالي، استفاق العالم على خبر
مأساوي؛ رحلت ليلى تاركةً خلفها قصّة حبٍّ لم تكتمل،
وقلوباً فشلت في إنقاذها.

في زوايا مدينةٍ تنامُ على ضوءِ القمر، كانت سارة تمضي
أعوامها بثباتٍ يعجزُ عن زعزعةِ الزّمن.

مرّت بها مناسبات كثيرة، دعوات وأحاديث لا تنتهي،
لكنّ قلبها كان مطمئنًا، لا يرتبك ولا يتذمر.

كلّ صباح، كانت تُحضّر فنجان قهوتها، وتكتبُ في
دفترها عبارة واحدة.

اللهُ يعلم، واللهُ قريب، واللهُ لا ينسى .

ومع كلّ عام يُضاف إلى عمرها؛ كانت تزيدُ خبرة
وحكمة، لا تجاعيدًا على وجهها، فقط بدا وكأنّها تمشي
ضدّ سيّل الزّمن، لا لأنّه لا يمسه، بل لأنّها كانت تؤمن أن
الوقت ليس عدوًّا بل رسولاً يحملُ لها موعدًا من السّماء.

وفي يومٍ بدا عادياً، حضرت محاضرة علمية كما تفعل
أسبوعياً، وهناك، التقت بـ "مالك".

لم يكن الحديث بينهما طويلاً، لكنّه ترك في روحها أثراً
وكان شيئاً ما في أعماقها .

فجأة جمعتهما المصادفة مرّة أخرى، ثمّ ثالثة، ثمّ أصبح
اللقاء عادة لا يشوبها تكلف.

كان رجلاً يزن الكلمة، يحسن الاستماع، يقدر الصبر،
ويراها كما لم يراها أحد من قبل، قال لها يوماً:

أنا لم أبحث عن امرأة جميلة فقط بل عن امرأة تثق في
توقيت الله فوجدتك.

تزوجا في حفلٍ بسيطٍ بألوانٍ هادئةٍ، وحضورٍ صادقٍ
كانت البداية كأنّها ولادة جديدة، ملؤها الدّعم
والاحترام، والتقدير.

لم يكن الزّواج لها مُجرد نهاية انتظار، بل بداية حياة
أرادها الله لها حين نضجت، وأن أوان الفرح.

وفي كلّ ليلةٍ، كانت تكتبُ في دفترها كلماتٍ مختلفةٍ
تعبّر عن امتنانها وشكرها لله على هذا القدر الجميل .

شكراً يا رب، لأنّك حفظت الوعد، وأحسنّت التّوقيت .

الحمد لله الذي وهبني زوجاً صالحاً وأقرّ عيني.

"العينُ التي ترى القلب"

في أحد الأحياء الهادئة، عاشت "ليلى" مع والدها "خالد"، رجلٌ أعمى لكنّه يرى أكثر من أيّ شخص، يرى بعينيّ قلبه.

ورغم أنّ الظلام رافقه منذ الطفولة، إلا أنّ نورَ قلبه أضاء حياةً ابنته الصّغيرة.

كانت والدتها "سّمية" تعيشُ في ذات البيت، لكنّ حضورها كان كالغائب؛ منشغلةً بهاتفها، بمقابلاتها، بسهراتها، بالكادِ كانت تسأل عن ليلى أو تجلس معها.

أمّا خالد، فكانَ عالمها كلّهُ يستيقظُ مبكرًا ليُحضّرَ لها الفطور.

يلمس وجهها بأنامله وكأنه يقرأ ابتسامتها، يروي لها القصص من ذاكرته الحادة، ويُعلمها أن الإنسان لا يُقاس بما يرى بل بما يشعر.

لily كبرت وهي تتعلم كيف تهتم بالناس، كيف تسمع أكثر مما تتكلم، كيف تتفهم وتسامح كانت تقول دائماً أبي علمني أن القلب هو البصر الحقيقي.

وذاث يوم، بينما كانت تعود من المدرسة، واجهت موقفا جعلها تدرك مدى أهمية دور والدها. رأت طفلاً يبكي عند الزاوية، اقتربت منه وسألته بلطف واكتشفت أنه ضائع؛ أمسكت بيده، وأخذته إلى أقرب مركز شرطة.

وهناك، قال لها الشرطي مبتسماً: أنتِ مثل النور في هذا الظلام، من علمك ذلك؟

ابتسمت وقالت: "أبي الأعمى".

"وراء جدار المطبخ"

في زقاقٍ ضيقٍ بأطراف المدينة، كانت ليلي تنهض قبل
الفجر لتُعدَّ الطَّعامَ لطفليها.

لم تكن الحياة رفيقةً لها، بل عذَّبتها بمتاعبها.

زوجٌ غائب و دخلٌ مُتواضع، وأحلامٌ مدفونةٌ تحت
أكوام الغسيل وأطباق الطَّعام .

تعملُ في مطعمٍ شعبيّ تنظفُ الصُّحون وتستمعُ
لأحاديث الطَّاوولات عن قصص حبٍّ وأخبار سفر، فيما
قلبها يكتبُ روايته الخاصة بصمت.

احتفظت ليلي بدفترٍ صغير، فيه تسطر كلَّ يومٍ صفحةً
من خيالها الجامح .

إنّها فتاةٌ تُقاوم مدينةً، تتنفسُ الشَّعر، أمُّ تربي أطفالها
وسط الحرب .

كانت الكتابةُ بالنسبة لها كالصَّلاة، لحظةٌ نجاةٍ في بحر
من الفوضى.

في أحدِ الأيام، ضاعَ ابنها الأصغر من المدرسة؛ ركضت
من شارعٍ لآخر تبحثُ عنه حتّى وجدتُه بعد ساعات من
الفرع.

حين عادت للعمل، طُردت بسبب الغياب، جلست على
الرصيف تبكي، بينما الدفتر بين يديها يهتزُّ من رعشة
الخوف.

قرّرت أن تنشرَ إحدى قصصها على صفحةٍ بسيطة على
الإنترنت كانت بعنوان: المرأة التي علّقت قلبها بالموقد.

القصةُ انتشرت كالنَّار في الهشيم، وبدأت رسائل الإعجاب تنهال عليها.

تلقت عرضاً من دار نشر صغيرة لطباعة أوّل رواية لها.

عُرِضَتْ قصتها في برنامج تلفزيوني، ووصفت بأنّها "صوّت الأمّهات المنسيات".

أصبحت ورشاتها المجانية للكتابة ملاذاً لكل امرأة تعيش بالظّل وتتعلّم بالضوء.

في توقيع روايتها الثالثة، وقفت ليلى أمام جمهور يصفق لها بحرارة، وبين يديها صورة قديمة لها وهي تمسح الأرض بجوارٍ قدرٍ من الحساء، ابتسمت وقالت:

كل سطرٍ كتبه كان غسيلاً للروح، لا للصحون.

"حياة من جذور الوجد"

كان عبد الرحمن شاباً طموحاً يعمل في الحدادة، يحبُّ صنع الأشياء بيديه، حتّى سلبه القدر إحدى يديه بحادثٍ عملٍ عنيفٍ.

لم تكن خسارته الجسدية هي الأشد، بل نظرة الناس له كمنقوصٍ.

لكنّ "صفاء"، فتاة القرية التي أحبها منذ الطفولة، رأت فيه الرجولة التي لا تُقاس بالأطراف بل بالموافق.

تزوجا زُغم ضيق الحال، وعاشا في بيتٍ صغير من طينٍ يجاورُ مزرعةً مهجورة لا يملكونها لكنّها كانت تشبههما؛ متعبةٌ مساماتها، لكن فيها تدور الحياة .

رُزقا بعشرة أطفال، ستة أولادٍ وأربع بنات.

وكان عبد الرحمن يصرُّ أن يسميهم بأسماءٍ تدل على الصبر والقوّة.

"ثابت" "راكبان" "جواد" "آمنة"، وغيرهم.

كانوا يلبسون الملابس المُرَقَّعة، ويأكلون من خضروات الأرض، لكنّ الحبّ كان غنيًّا ومترفًا.

مرّت الأعوام ثقيلة، والحياة لا ترحم الفقراء.

مرضت صفاء ببطء، مثل ورقة ذابلة، وكانت تُخفي أوجاعها عن الأطفال، وعبد الرحمن بذراعٍ واحدة يعمل في البناء صباحًا ويعودُ ليرعى أبنائه مساءً.

ومع تدهور حال صفاء، عرف أنّها تُشارف على الرّحيل فجلس معها ليلةً كاملة،

عند شجرة الثّوت وسط المزرعة، يبكي بصمت، وتمسكُ
بيدهِ الباقية وتقول له: "لا تنكسر حتّى وإن تفرّقوا
سيعودون يومًا للمزرعة.

رحلت صفاء.

ومع رحيلها، رحل كلّ شيء من البيت، الأولاد تفرّقوا و
كلّ بحث عن عملٍ أو زواج أو هروب، بعضهم سافر،
بعضهم انقطع عن التّواصل، وعبد الرّحمن بقي وحده،
يكتبُ يومياته على أوراقٍ كرتونية، يزرع شجيرات
صغيرة أمام بيته، كأنّها أطفال صغار.

بعد عشرين عامًا، مات عبد الرّحمن بهدوء في صباح
شتوي، ودُفن في مقبرةٍ بسيطة قرب المزرعة.

"ثابت" - الأكبر - يعودُ لزيارة القرية بعد رحلة اغتراب
يمرُّ قرب المزرعة صدفة فيرى الشجرة، ويتوقف.

يشعرُ بشيءٍ داخلي يشدّه؛ يتصل براكان ثمّ بـ "آمنة".
وخلال أيّام، يجتمع الإخوة والبنات و يقفون أمام البيت
القديم الذي تهالك، وينظرون لبعضهم البعض ويبكون.
قرّروا البقاء.

رمّموا البيت بأيديهم و أعادوا حفرَ الأرض وزراعتها و
كلّ واحد منهم شارك بقصة حياته المنفصلة، والألم الذي
عاشه والأهم أعادوا إحياء يوميات والدهم التي وجدوا
بعضها تحت وصادته القديمة.

تحوّلت المزرعة إلى بيتٍ كبير فيه عشرة غرف سُمّيت
كلّ واحدة باسم من الأبناء، وبُنِي نصب صغير لشجرة
الثّوت، حيث كانت صفاء تقولُ كلماتها الأخيرة.

كلّ سنة، يجتمعُ أحفادهم في المزرعة، ويروّن حكاية
عبد الرّحمن و صفاء، حكايةُ اليدِ المفقودة والقلب الذي
لم يعرف المستحيل .

"حين خان السمُّ الحبَّ"

في قلب الغابة، حيث تتشابك الأغصان وتتعانق الظلال،
كانت تعيش نملة تُدعى "نُهى"، ذات قلبٍ نابضٍ بالحلم،
وعينين تلمعان بشغف الحياة.

لم تكن كأخواتها النملات، اللواتي لا يعرفن سوى العمل
والانضباط، بل كانت تأنس إلى التأمل، وتُصغي إلى
همسات الريح، وتكتب في قلبها قصائد لا تُقرأ.

و ذات مساءٍ ربيعي، بينما كانت نُهى تتجول على أطراف
الغابة، أبصرت عقربًا يتهادى بين الصخور، يجرّ ذيله
الثقيل كأنما يحمل وزرًا من الذكريات.

كان يُدعى "سُهيل"، عقربًا غريبًا في طباعه، لا يهاجم،
لا يتربص، بل ينظر إلى الأفق كمن يبحث عن شيءٍ
ضائع.

اقتربت منه نُهى، مدفوعةً بفضولها، وسألته:

ما الذي يُقلقك أيُّها العقرب؟
فأجابها بصوتٍ خافتٍ كأنما خرج من بئرٍ عميق:
- إنني أبحث عن من يفهمني، لا من يخافني.

تبادلا الحديث، ثم النظرات، ثم المشاعر.

ومع الأيام،

نمت بينهما علاقةٌ عجيبة، لا تُشبه ما يعرفه عالم
الحشرات.

أحبته نُهى، رغم تحذيرات قومها، الذين قالوا لها:
العقرب لا يُؤتمن، فسَمّه يسكنه، وإن ابتسم.

لكنها لم تُصغِ، واعتزلت عشيرتها، وتخلّت عن جحرها،
وبنت بيتًا صغيرًا بجانب صخرةٍ ناعمة، حيث يعيش
سُهيل. كانت تقول لنفسها:

- الحبُّ أقوى من الخوف، وسُهيل ليس كغيره.

وفي ليلةٍ مقمرة، تزوّجا تحت ضوء النجوم، بلا طقوس
ولا شهود، سوى الريح التي صفقت لهما، والأشجار التي
انحنّت احترامًا.

كانت تُهي ترفرف حوله، تغني له أغنيةً من قلبها،
وتهمس:

- كم أنا سعيدة بك، يا من كسرتَ جدار وحدتي.

لكن في لحظةٍ خاطفة، ارتجف سُهيل، وارتفع ذيله كأنما
تحرك بإرادةٍ لا يملكها، ثم لدغها... لدغها دون وعي، دون
قصد، دون رغبة.

سقطت تُهي على الأرض، تتلوّى، ثم خمدت أنفاسها،
وماتت بين يديه.

صرخ سُهيل، صرخةً مزّقت سكّون الغابة، وذرف دموعًا
لم يعرفها من قبل.

جلس بجانبها، يحدّق في جسدها الصغير، ويقول:
- ما كنتُ أريد... ما كنتُ أقصد... لكن السمّ أقوى مني.

ولم يحتمل أن يكون سبب موت من أحب، فلدغ نفسه،
وسقط بجانبها، هامدًا، كأنما أراد أن يُكفّر عن خطيئته
الأخيرة.

وفي صباح اليوم التّالي، وجدتهما الحيوانات الأخرى
متعانقين، كأن الموت لم يفرّق بينهما.

ومنذ ذلك الحين، أصبحت قصتهما تُروى بين الأشجار،
كتحذيرٍ وكعبرة: أن الحب لا يكفي إن لم يُرافقه الحذر،
وأن بعض القلوب، مهما أحبّت، تحمل في طياتها ما قد
يقتلها.

في زمنٍ غابرٍ، حيث كانت الجبال تتحدث، والأنهار
تهمس، وليلُ الغابة يُخفي أسرارًا لا تُروى، عاش ساحرٌ
يُدعى "أزهر"، اشتهر بين الناس بقدرته على تطويع
العناصر، وإخضاع الأرواح، لكنه اشتهر أيضًا بقلبٍ لا
يعرف الرحمة، ونفيسٍ لا تشبع من السيطرة.

كان أزهر يسكن قلعةً معزولةً في أعالي الجبال، لا
يزورها أحد إلا من ضلَّ طريقه أو طمع في قوته. وفي
أحد الأيام، لمح فتاةً تُدعى "ليلى"، كانت ترقص في
مهرجانٍ قرويٍّ تحت ضوء القمر، فأسره جمالها، لا حبًا،
بل رغبةً في امتلاكها.

نزل إلى القرية متنكرًا، وأغراها بكلماتٍ منمّقة، ووعدّها
بحياةٍ من السحر والرفاه، فوافقت، رغم تحذيرات أمّها

التي قالت:

- لا تثقي بمن لا تعرفين قلبه، فالسحر لا يُطعم الحب.

أخذها إلى قلعته، وهناك بدأت رحلة العذاب.

لم يكن زوجًا، بل سجّانًا.

منعها من الخروج، حرّم عليها الكلام مع الأرواح الطيبة، وأخضعها لتجاربٍ سحريةٍ قاسية، بحجة "تقوية روحها".

كانت تصرخ، تبكي، تتوسّل، لكنه لا يسمع إلا صدى كبريائه.

ومع مرور الأيام، بدأت ليلي تفقد عقلها.

كانت ترى الأشجار تتكلم، وتسمع الجدران تضحك،
وتظن أن القمر يراقبها ويبكي لأجلها.

حاولت الهرب مرارًا، لكن السحر كان أقوى من أجنحتها
المكسورة.

وفي ليلة عاصفة، وقفت على حافة برج القلعة، تنظر
إلى الهاوية، وتهمس:

- إن كنت لا أملك نفسي، فلن أسمح له أن يملك روحي.

قفزت... وسقطت... واختفت في ظلام لا قاع له.

حين علم أزهر بما حدث، لم يشعر بالحزن، بل بالغضب.
قال:

- كيف تجرؤ على الموت دون إذني؟!
لكن الغابة لم تسكت.

الأرواح التي عذبها، والظلال التي استغلّها، والنجوم
التي تجاهلها، اجتمعت لتنتقم.

في تلك الليلة، انقلبت عليه تعاويذه، وخرجت من كتبه
نارٌ لا تُطفأ، وانهارت جدران قلعته، وابتلعت الأرض، وهو
يصرخ:

- أنا الساحر! أنا من يملك الموت!

لكن الموت لا يملك، والظلم لا يُنسى.

ومنذ ذلك الحين، يُقال إن صدى صراخه يُسمع في
ليالي الشتاء، وأن روح ليلي تُضيء القمر كلما مرّت
سحابةٌ سوداء، كأنها تقول:

- لا أحد ينجو من ظلمه، ولو كان ساحرًا .

"جميلة هي"

في قرية صغيرة تحيط بها الحقول وتغفو على كتف
الجبال، عاشت امرأة تُدعى "بهية"، لم تكن جميلة
المظهر، بل كانت قبيحة الخلقة في أعين الناس، بوجه
غريب التكوين، وجسدٍ نحيلٍ أنهكته الحياة.

لكن قلبها كان من ذهب، وروحها كانت كنسمةٍ تمرّ على
زهرةٍ ذابلة فتحييها.

كانت بهية تُحب الخير، وتُعين المحتاج، وتبتسم في
وجه من يسخر منها، وتقول:
- الجمال لا يُقاس بالوجه، بل بما يحمله القلب من نور.

وذات يوم، جاء إلى القرية رجلٌ يُدعى "سليم"، جميل
الوجه، وسيم الطلعة، يسرق الأنظار أينما حلّ.

كان مغرورًا بجماله، يظن أن العالم خلق ليُعجب به.

رأى بهية، ولم يُعجب بها، لكنه تزوّجها لأسبابٍ لا يعلمها إلا هو؛ ربما طمعًا في إرث، أو رغبةً في السيطرة.

في البداية، كانت بهية تظن أن الحب سيأتي مع الأيام، فصبرت على جفائه، وتحملت قسوته، حتى حين أحب امرأةً أخرى، لم تُعاتبه، بل قالت:
- إن كان قلبك لا يسكنني، فليكن لي شرف خدمتك.

عاش معها كالغريب، لا يُحدثها إلا عند الحاجة، ولا يُنظر إليها إلا بازدراء.

كانت تُطعمه، وتغسل ثيابه، وتُربي أولاده، بينما هو يلهو في حبٍ آخر، ويُهملها كأنها لا شيء.

ومرّت السنوات، حتى مرض سليم مرضًا شديدًا، أقعده، وأفقده وسامته، وأذلّ كبرياءه.

فهربت منه من أحبّها لجمالها، ولم يبقَ له سوى بهيّة،
التي جلست بجانبه، تُطعمه بيدها، وتُمسّد جبينه،
وتقول:

- لا بأس عليك، سأبقى معك حتى النهاية.

وفي لحظة ضعف، نظر إليها وقال:
- سامحيني... لقد ظلمتك، وأدركتُ الآن أن جمالك كان
في روحك، لا في وجهك.

ابتسمت بهيّة، لكن قلبها لم يبتسم.

كان قد انكسر منذ زمن، ولم يعد يُجيد الحب. قالت له
بهدوء:

- سامحتك، لكنني لم أعد أملك ما أعطيك.

وفي صباحٍ شاحب، مات سليم، وتركها وحدها تصارع الحياة، تُربّي أولادها، وتُكافح لأجلهم، دون سندٍ أو حبيب.

كانت تمشي في السوق، تحمل سلةً ثقيلة، ويقول الناس:

- تلك المرأة، كانت زوجة أجمل رجل، لكنها كانت الأجل حقًا.

وهكذا، بقيت بهية، جميلة الروح، قبيحة الوجه، أمًا عظيمة، وامرأةً لم تُهزم، رغم أن الحب هزمها .

في أعالي الجبال، حيث لا يصل الصوت إلا بعد أن
يهمس، كان يعيش نسرٌ يُدعى "شاهين"، ملك السماء،
سيد الرياح، لا يُضاهيه طائرٌ في العلوّ ولا في الشموخ.

كان يطير فوق السحاب، يراقب الأرض من بعيد، لا
يأنس إلا بالحرية، ولا يُحب إلا الارتفاع.

وفي أحد الأيام، وبينما كان يحلّق فوق مزرعةٍ نائية،
لمح دجاجةً تُدعى "ورد"، تمشي بخطى متثاقلة، تبحث
عن الحبوب، وتُحدث نفسها.

لم تكن كالدجاجات الأخريات، بل كانت تُحدّق في
السماء بشغف، وكأنها تتمنى لو كان لها جناحان قويان.

أعجب بها شاهين، لا بجمالها، بل بجراتها.

نزل إليها، وتحدث معها، فانبهر بحكمتها، وحنانها،
وصدقها.

قالت له:

- أنا لا أطير، لكنني أحلم.

فأجابها:

- وأنا أطير، لكنني لا أجد من يفهمني.

تزوَّجا، وسط دهشة الطيور، وسكن معها في المزرعة،
تاركًا خلفه القمم والغيوم.

حاول أن يُعلِّمها الطيران، لكنها لم تكن تملك جناحين
كجناحيه.

حاولت أن تُعلِّمه الاستقرار، لكنه كان يضيق بالأرض.

ومع الأيام، بدأ شاهين يحنّ إلى السماء، ويشعر أن ورد تُقيّده.

فصار يطير وحده، ويعود متأخرًا، ويحدث طيورًا أخرى، ويُهملها.

أما ورد، فكانت تصبر، وتقول:
- الحب لا يُقاس بالتحليق، بل بالبقاء.

وذات يوم، عاد شاهين ليجدها مريضة، حزينة، لا تقوى على الوقوف.

اقترب منها، وهمس:
- هل كنت سعيدةً معي؟

فأجابت:
- كنتُ أحلم، وهذا يكفيني.

بكى شاهين، لأول مرة، وشعر أنه ظلمها.

حاول أن يحملها إلى السماء، لكن جسدها لم يحتمل.
ماتت بين جناحيه، وهو يصرخ:

- يا من علّمتني معنى الأرض، سامحيني.

ومنذ ذلك الحين، صار شاهين لا يطير عاليًا، بل يحوم
فوق المزرعة، يزور قبرها كل صباح، ويحدث الريح
عنها، كأنها لا تزال تحلم.

وهكذا، بقيت قصة النسر والدجاجة تُروى بين الطيور،
كحكاية عن الحب المستحيل، حين يجتمع من وُلد للعلوّ
بمن وُلد للثبات، ويكتشفان أن الأرواح قد تلتقي، لكن
الأجنحة لا تتشابه.

"باب العمر الآخر"

في أحد أحياء المدينة القديمة، كانت تعيش امرأة عجوز تُدعى "سراب"، تجاوزت السبعين من عمرها، تقضي أيامها بين جدران بيت صامت، لا يزورها أحد، ولا يذكرها الناس إلا حين تمرّ ببطء في السوق، تحمل كيسًا صغيرًا من الخبز اليابس.

كانت سعاد في شبابها تحلم بأن تكون كاتبة، أن تملأ الدنيا بكلماتها، أن تُنصت لها الأرواح، وتُترجم مشاعرها إلى كتبٍ تُقرأ في كل مكان.

لكن الحياة لم تُنصفها، تزوّجت صغيرة، أنجبت، ثم ترمّلت، وانشغلت بتربية أولادها، حتى نسيت نفسها، ونسيها الزمن.

و ذات مساءٍ شتوي، وبينما كانت تُرتّب أغراضًا قديمة في علّة بيتها، وجدت بابًا خشبيًا صغيرًا، لم تره من قبل كأنما ظهر فجأة.

كان الباب مُزخرفًا بنقوشٍ غريبة، ويُشعّ بضوءٍ خافتٍ
كضوء القمر.

مدفوعةً بالفضول، فتحتّه، فوجد خلفه ممراً ضبايياً، لا
يُشبه أي شيءٍ في عالمها.

دخلت، دون أن تفكر، وسارت فيه، وكلما خطت خطوةً،
شعرت أن جسدها يستعيد قوته، أن التجاعيد تتلاشى،
أن قلبها ينبض بشغفٍ قديم.

وحين وصلت إلى نهايته، وقفت أمام مرآةٍ ضخمة،
فرأت نفسها شابةً كما كانت في العشرين، بعينين
لامعتين، وشعرٍ أسودٍ منسدل.

لم تكن تحلم، بل تحوّلت حقاً.

خرجت من الممر، لتجد نفسها في بيتها، لكن الزمن تغير،
والفرصة عادت.

قررت أن تبدأ من جديد، أن تكتب، أن تُنشر، أن تُخبر العالم بما حدث. كتبت أول رواية بعنوان "باب العمر الآخر"، وسردت فيها قصتها، وكيف أن الإنسان لا يُهزم إلا إذا استسلم.

انتشرت الرواية، وأصبحت حديث الناس، وتحوّلت سراب إلى كاتبة مشهورة، تُدعى الآن "سراب الريحي"، تُلقي المحاضرات، وتُشارك في المعارض، وتُلهم النساء والرجال على حدّ سواء.

وفي كل لقاء، كانت تقول:
- لا تسألوا كيف حدث، بل اسألوا لماذا لم يحدث من قبل.

الباب لم يكن سحريًا، بل كان داخلي، ينتظر أن أفتحه. وهكذا، بقيت قصتها تُروى، لا كحكاية خيالية، بل كدعوة لكل من ظن أن العمر يُقاس بالسنين،

لقد أجرمتَ بنفسكِ وسلبتَها البصيرةَ حينَ خرجتَ من بحري كما دخلتَ .

ستُلقي بقاربِكَ بعيدًا وتمتطي أمواج الخيال وتروّضُها وإلا ستعودُ صفرَ اليدين .

بحري كسائرِ البحور، ظهورٌ ماؤه وحلٌ ميتتهُ.
توضاً بقطراتِ بحري لتُصلي بمحرابِ الفهم والإدراك.
لا ترحل قبل أن تتذوق أطباقِ النصيح وتهضمها لتنشرَ
الغذاءَ بينَ عُروقكَ .

سيختلفُ الضّغطُ عليك بينَ العمقِ والسطحِ فلا
تستعجلِ العومَ وتمهل .

بينَ السطحِ والعمقِ، بينَ الواقعِ والخيالِ، خُذ قسطًا من
الراحةِ والتقطِ أنفاسك، فأنا أخشى عليك من انفجارِ
الصّدرِ إن كنتَ لا تحسنُ استدراكَ الطّبقاتِ وتقلّباتِ
مزاجِ البحرِ .

لا تبقى في المُنتصفِ وخُذ وضعيّةَ المُحاربِ والقُبطانِ
فقد أصبحتَ للتوّ القارئَ النّهم الذي لا يخرجُ من البحرِ
قبل إيجادِ الكنوزِ المخفيّةِ و القضاءِ على القراصنةِ .
إن لم تأخذْ ما جأتَ من أجله فادخلْ مُجددًا لتنهّلَ من
ما لذّ وطاب .

تأليف : منى قبس دخيل " عاشقة الشام "

مع حبي

" عاشقة الشام " .